● سيرة تنهيد

أسطورة في عقول الفلسطينيين .. الشهيد القائد محمود أبو هنود

الوفاق / وكالات - في الـ ٢٥ من شهر تشرين الثاني / نوفمبر للعام ٢٠٠١، اغتال جيش الكيان المؤقت الشهيد القائد في كتائب عز الدين القسام محمود أبو هنود، الذي شكّل أسطورة حيّة لدى الكثيرين من الشعب الفلسطيني، وكان صاحب الأرواح السبعة عند كيان الاحتلال الإسرائيلي، وسكين القسام في قلب الكيان كما يصفه بذلك رفاقه وتلامذته في الكتائب، الذي خطط وأعد لعشرات العمليات ضد الاحتلال.

حياته ومطاردته

ولد الشهيد في عام ١٩٦٧م وأكمل دراسته الثانوية في قرية "عصيرة الشمالية" حيث ولد ونشأ، ومن ثم التحق عام ١٩٩٥م بكلية الدعوة وأصول الدين في مدينة القدس المحتلة حيث حصل على شهادة البكالوريوس في الشريعة الإسلامية.
مع انطلاق الانتفاضة الفلسطينية الأولى ١٩٨٧م سارع أبو هنود للمشاركة في فعالياتها فأصيب عام ١٩٨٨م بجراح خطيرة إثر إصابته بعيار ناري خلال مواجهته لجنود الاحتلال، وتعرض بعد ذلك للاعتقال لعدة شهور في معتقل "مجدو". وبعد إطلاق سراحه، أصبح عضوا ناشطا في حركة المقاومة الإسلامية "حماس" في نابلس، وفي شهر كانون أول عام ١٩٩٢م كان هو وخمسة آخرين من بلدته عصيرة الشمالية من بين ٤٠٠ عضو في حركة حماس والجهاد الإسلامي ممن أبعدوا إلى مرج الزهور جنوب لبنان.

محاولات الاغتيال.. ثم الشهادة

بعد أن وضع الكيان الصهيوني القائد الشهيد على رأس المطلوبين له، بدأ بالعمل الفعلي للتخلص منه، حيث تعرض لمحاولة اغتيال في عام ٢٠٠٠م، ولكنه أصيب بجراح وتمكن من الفرار بعد أن أجهز على أكثر من ثلاثة من جنود الوحدات الخاصة لجيش العدو، وأصاب العديد منهم بجراح مختلفة، ما ساهم في زيادة الحنق الصهيوني عليه، والسعي أكثر للقضاء على الذي مرغ أنف جنود العدو وزلزل أمنه.
وكانت المحاولة الثانية بتاريخ ٢٠٠١م بعدما قصفت طائرات العدو الحربية لأول مرة السجن المركزي لمدينة نابلس بالضفة المحتلة، حيث كانت السلطة تحتجزه وللمرة الثانية يخرج الشهيد حياً من تحت الأنقاض، وهو لا يزال يمسك بيديه مصحفاً كان يقرأ فيه لحظة القصف.
تلك المحاولتان الفاشلتان لم تثنيا قوات الأمن الصهيونية عن الجد في طلب قائد الجناح العسكري في حماس في الضفة المحتلة، فكانت المحاولة الثالثة، والتي استشهد فيها المجاهد أبو الهنود حين أقدمت طائرات أباتشي صهيونية فجر يوم السبت ٢٠٠١/١١/٢٤م، على قصف سيارته بخمسة صواريخ أدت إلى استشهاده هو واثنين من رفاقه.

جهاد مشرف

شارك الشهيد القائد في تنفيذ العديد من العمليات البطولية، وكان يقف وراء تجنيد الاستشهاديين الخمسة الذين فجروا أنفسهم عام ١٩٩٧م، وتبين أن معظمهم خرج من قرية عصيرة الشمالية شمال نابلس الخاضعة للسيطرة الأمنية الصهيونية، وتشير مصادر أمنية صهيونية أن أبو هنود احترف فن الاختفاء، والمراوغة مستغلاً عيونه الزرقاء وشعره الأشقر.

الشعب حارس الثورة

قوات التعبئة «البسيج» الداعم الجوهري لديمومة الثورة الإسلامية والمعزز لانتصاراتها

الوفاق

لا يمر حدث أو استحقاق مفصلي أو حتى خلال الأيام العادية في الجمهورية الإسلامية في إيران، إلا وستجد قوات التعبئة "البسيج" في مقدمة القوات الأمنية والعسكرية، التي تنظم وتحافظ على امن المواطنين والمناطق. فما هي قوات البسيج؟
يُعد مصطلح التعبئة أو البسيج في ايران المُستخدم اليوم ببعده الإسلاميّ الثقافيّ الذي يشمل معايير التهيئة والاستنفار والجاهزية والمبادرة وانتظار التكليف الشرعي العام... فهو جديد، على أنّ جذوره موجودة في تاريخ الأنبياء(ع) وسيرة الرسول (ص) وروايات أهل البيت (ع).
والتعبئة هي منظمة ثورية تتشكل من جماهير الشعب وأفراد المجتمع، ويعتقد بعض علماء الاجتماع وعلماء السياسة أن التعبئة تحدث من أجل الثورة، أي تعبئة جماهير الشعب لإحداث الثورة. ولذلك فإن حركة جماهير الشعب لإقامة نظام حكومي جديد تُسمى تعبئة. بناءً على ذلك، يعتقد البعض أنه بعد تغيير الحكومة والنظام السياسي، تفقد التعبئة فلسفتها الوجودية وتفسح هذه الحركة الجماهيرية المجال أمام مؤسسات الدولة المختلفة بإدارة البلاد، ويتوقف عملها نهائياً.
وفي المقابل تقبل بعض الحكومات وخاصةً الديمقراطية منها، مشاركة الشعب في إدارة البلاد لأن هذا النمط من المشاركة بين الدولة والشعب باعتقادهم يقوي ويثبت النظام ويضفي عليه شرعية شعبية تواكبه في كل مراحل إدارته للبلاد، ويُسمى هذا النوع من العمل بالمشاركة الحديثة، والتي تتحدد بمشاركة الناس في الانتخابات والمجالس والخدمات الاجتماعية. وهذا النمط التشاركي بين الناس والدولة في إدارة البلاد والتي تُسمى بالمشاركة الحديثة، تختلف عن حضور التعبئة في كل مفاصل إدارة البلاد.

الحركة التعبوية في إيران

في الجمهورية الإسلامية الإيرانية، كانت حركة الجماهير ووجود القوى الشعبية راسخة قبل انتصار الثورة، وفي أثناء الثورة لعب الشعب دوراً كبيراً في تحقيق الانتصار، فتُعتبر الثورة الإسلامية ثورة الشعب والأمة الإسلامية. هذه الحركة التعبوية بعد استلام مؤسسات الدولة إدارة البلاد لن تتوقف ولن تتغير فلسفة هذه الحركة وأصلها، بل سيظل حضورها ومشاركتها هو نفسه قبل الثورة وبعده، وما سيتغير هو توجهها العملي الذي سينتقل من صناعة الثورة لينحو إلى الحفاظ على هذه الثورة عبر المشاركة في الإصلاحات والبناء والمساعدة في بناء الدولة في كافة المجالات، ومن الضروري أن يستمر هذا الحراك الشعبي التعبوي المُساند لمؤسسات الدولة.

ثورة فريدة بمشاركة مليونية

إن الثورة الإسلامية ومقارنتها بالثورات العالمية الكبرى، تُعد ثورة فريدة بنوعها، في جانب عدد المشاركين في مسار الثورة (بالمقارنة بعدد سكان البلاد). فمصير الثورة بعد انتصارها، له علاقة مباشرة بالمشاركة الشعبية. هناك قاعدة جوهرية: لو أرادت الثورة التمسك بمبادئها، فإن الشعب هو القاعدة لتلك المبادئ. في هذا المجال، الشعب، ما عدا فئة قليلة، من أتباع النظام السابق، ونزل الناس في شوارع المدن والقرى، وبهذا فقد النظام البهلوي العميل للغرب، أي إمكانية للقيام بأي مبادرة. جاءت المشاركة الشعبية بعد دعوة علماء الدين الثوار للناس، وعبر المساجد والمراكز الدينية، وبلغت حداً أثارت دهشة كل المحللين لقضايا الثورة على المستوى العالمي، وسلبت نظام الشاه إمكانية إدارة التطورات والسيطرة عليها.
فلقد أرسلت الإدارة الأمريكية الجنرال هايزر إلى طهران، لتنفيذ انقلاب عسكري، في حال التأكد من سقوط محمد رضا شاه، لكنه عاد إلى بلاده بعد أيام من سقوط الشاه بعد فشل خطته، بسبب المشاركة الشعبية الكبرى، معلناً عدم استطاعته جذب واستقطاب العدد المناسب من قادة الجيش للمشاركة في الانقلاب.
وهذا ما نراه أيضاً في الثورة الصينية التي حدثت في عام ١٩٤٩، بقيادة "ماو"، والتي كانت المشاركة الشعبية فيها قليلة، ذلك أن خمسة ملايين من عدد سكان الصين البالغ عددهم ٦٠٠ مليون نسمة حينها، كانوا يدعمون "ماو"، واعتبر المحللون بأن سبب انتصار هذه الثورة بالرغم من العدد القليل من الداعمين لها، إنما يعود لضعف الأنظمة السابقة وانهيارها، والحماس التي كان يتحلى به الثوار إلى جانب أسبابٍ أخرى.
لذا فإن المشاركة الواسعة النطاق للشعب في الثورة الإسلامية، ترك تأثيره على استراتيجيات الثورة ومنها عدم اللجوء للأسلحة، والاستفادة من مشاركة الناس في الساحة، والذين بلغ عددهم الملايين من الناس، بحيث جاءت المرحلة النهائية لانتصارها التاسع من يناير

/ كانون الثاني من العام ١٩٧٨م حتى الحادي عشر من شهر شباط/ فبراير من العام ١٩٧٨م، وسرعة إنشاء نظام سياسي جديد، بحيث تمت صياغة الدستور الجديد وتم اختيار مسؤولي النظام، ومهّد الأرضية لتحقيق طموحات الثورة على المستوى الداخلي والإقليمي والعالمي.

التعبئة أساس معظم المؤسسات الإدارية

أرسى الإمام الخميني(قدس) أُسس التعبئة منذ اليوم الأول للانتصار، وحتى قُبيل الانتصار، عبر إنزال الجماهير إلى الساحة وإلقاء أعباء الحركة على عواتقهم، من خلال الاعتماد عليهم والثقة بهم. لقد وثق الإمام بالجماهير، ووثقت الجماهير بأنفسها وكانت لديهم ثقة عالية بالذات، و لو لم يثق الإمام بالشعب لمّا وثق الشعب بنفسه. والواقع أن الحرس الثوري نبع من التعبئة، جهاد البناء انطلق من التعبئة، مؤسسات عديدة نشأت من التعبئة. صحيح أن التعبئة لم تكن منظمة كما أصبحت في الأعوام التالية، لكن ثقافة التعبئة وحركتها وحقيقتها غدت نبعاً للكثير من الخيرات الهائلة في إيران ومجتمعها ونظامها الإسلامي، هذه هي حقيقة التعبئة.
والجدير ذكره أن التعبئة واسعة وتستوعب جميع المجالات، فالتعبئة متواجدة في المؤسسات غير العسكرية وفي القطاعات المختلفة، في الجامعة، وفي المعامل، وفي شرائح الشعب المختلفة، وفي القرى والمدن، وبين العشائر وفي الحوزات العلمية نراها متواجدة على امتداد ساحات إيران وفي كل مجالات الحياة الاجتماعية الاقتصادية والثقافية والتربوية، التعبئة متواجدة تواجداً شاملاً مقتدراً لا متناهياً. وهي غير مرتبطة لا بالمال ولا بالعناوين ولا بالجاه والجلال، ولا بالأوامر التي تصدر من الرؤساء، معيار التعبئة هو البصيرة والإيمان، الإيمان الذي ينبع من قلوبهم ويدفعهم إلى العمل. والبصيرة تُفهمهم كيف يعملون وكيف يشخصون المعايير وكيف يسيرون على الدرب. هذا هو معنى التعبئة، وفق ما يُعرفها الإمام الخامنئي (حفظه الله).

دور اجتماعي سابق للثورة

قبل انتصار الثورة وبداية الحرب المفروضة التي شنّها نظام صدام البائد على الجمهوريّة الإسلاميّة في إيران، وقبل أن يبرز الدور العسكريّ للتعبئة والتضحيات التي قدّمها عناصرها في مواجهة الحرب المفروضة ، برزت روحيّتهم العالية في كثير من المجالات، مثل خدمة المحرومين، إذ كانوا يذهبون إلى القرى البعيدة والمحرومة والنائية لمساعدة الناس في الحصاد والزراعة. ولاحقاً، تطوّرت الأمور أكثر وأخذت طابعاً مؤسّساتيّاً، فظهرت مؤسّسات كثيرة مثل جهاد البناء التي قامت بالكثير من المهام والنشاطات بهدف خدمة الناس، وكان من مهام التعبويّين أيضاً توفير الأمن في كثير من المناطق التي كانت ترزح تحت تهديد الأشخاص الذين كانوا ضدّ الثورة.
بهذه الروحيّة التعبويّة كان التعبويّون يقومون بواجبهم لتوفير الأمن وحفظه، بحيث وقفوا جنباً إلى جنب مع الجيش والحرس، اللذين ما كانا يستطيعان أن يقوما بواجبهما والتصديّ لهجمات العدوّ لولا كلّ ما قدّمه هؤلاء التعبويّون أصحاب المبادرات الحيّة. وعندما ننظر إلى الأيام الأولى بعد انتصار الثورة نجد أن الشباب المندفعين كانوا حاضرين وكانوا يحددون مكان الحاجة، وكانوا ينخرطون بشكلٍ سريع ويلبونها، لم يتركوا مجالاً أو ساحة خالية من حضورهم. بعد الحرب، أصبحت التعبئة متجهةً نحو ضم الدور العسكري لها، ومأسستها وتنظيمها.
في الثقافة الإسلامية يعدّ تحمل المسؤولية بغية تحقيق القيم والطموحات الإسلامية السامية، من واجب كل أبناء الشعب، وليس المسؤولين أو النظام السياسي، على هذا فإن مشاركة الناس في مختلف الساحات السياسية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية والعلمية و... تكتسب طابعاً حقيقياً وتترك تأثيرها على تلك الساحات.
ختاماً نذكر ما قاله الإمام الخامنئي (حفظه الله) إن كل حكومة وكل بلد يكون فيها الشعب حاضراً ويتحرك نحو جهة محددة، سيكون انتصارها حتمياً. هذا أمر مسلّم، تتعرض البلدان للضربات والهزائم حين لا يكون الشعب حاضراً في الميدان وحينما لا يكون الشعب متحداً في ميدان العمل. حيثما يتواجد الشعب في الميدان ويوجد اتحاد وانسجام بين أفراد الشعب فإن الانتصار والتقدّم حتميّان، التعبئة هي نموذج كهذا، هي مظهر من هذا الحضور الشعبي في الميدان وتلاحم الشعوب فيما بينها.

إن الثورة الإسلامية ومقارنتها بالثورات العالمية الكبرى، تُعد ثورة فريدة بنوعها، في جانب عدد المشاركين في مسارها قياساً بعدد السكان